

دور النساء الأوروبيات في الحملة الصليبية الأولى على الأرض المقدسة (488هـ/1095م)

## European Women during the First Crusade in the Holy Land

جلال سلامة

Jalal Salameh

جامعة القدس المفتوحة، منطقة نابلس التعليمية، نابلس، فلسطين

بريد الكتروني: jsalameh@qou.edu

تاريخ التسليم: (2013/9/26)، تاريخ القبول: (2014/3/6)

### ملخص

يعالج هذا البحث واحداً من الموضوعات المهمة التي لم تنل اهتمام الباحثين والمؤرخين العرب والغربيين على حد سواء، وبخاصة في الجانب الذي يتعلق بدور النساء الأوروبيات في الحملة الصليبية الأولى (488هـ/1095م)، وقد حاول الباحث جاهداً تسليط الضوء على هذا الموضوع وتكوين صورة واضحة عنه - إلى حد ما - من خلال بعض الإشارات الواردة في المصادر العربية وغير العربية المتوافرة حول تلبية مجموعات منهن لدعوة "البابا أربان الثاني" Pop Urban II لتلك الحملة، وأن مشاركتهن فيها كانت ضرورة لا غنى عنها، على الرغم من أن بعض المصادر المتوافرة تشير إلى أن خطاب البابا تضمن دعوة النساء بعدم الخروج مع الحملة والبقاء في بلادهن أوروبا، خشية أن يشكل ذلك عائقاً أمام تحقيق المشروع الصليبي بالسيطرة على الأرض المقدسة. فقد تزامن مع الإعداد للمشروع الاستيطاني الجديد تأهيل للنساء في مختلف الحرف وبخاصة الإنسانية التي شملت إعداد الطعام وتقديم العناية الصحية للجيوش التي تعرض كثير من أفرادها للتعب الشديد والإرهاق، بسبب طول المسافة ووعورة الطرق واختلاف الظروف ومداداة الجرحى في أثناء المعارك مع خصومهم. ولم يتردد بعضهن عن حمل السلاح وبناء الأبراج وآلات الحصار الأخرى وبخاصة في أثناء تشديد الحصار الصليبي للمدينة المقدسة ومساهمتهن الفاعلة في استباحتها وإراقة دماء سكانها الأمنين في أزقتها وشوارعها، لتغدو بعد ذلك قاعدة للمملكة الصليبية.

### Abstract

This research aims at emphasizing one important aspect which didn't attract both Arab and western researchers and historians attention specially the matters concerning the role of European Women in the First

Crusade (1095/488). The researcher tried hard to emphasize and spot the light on this subject and to draw a clear picture about it – to some extent – through some recites in the Arabic and in Arabic references which are available on accepting the invitation of Pop Urban II for that campaign and their contribution in that campaign was unavoidable although some available resources indicate that the Pop announced included ordering women not to contribute in the campaign and to stay in their home land – Europe – so as to be an obstacle in front of realizing the Crusader Project of controlling the Holy Land. All this Preparation for the Project conceded with rehabilitating women in various Professions, specially the humanitarian which included preparing food nursing soldiers who mostly experienced extreme fatigue because of far distances, rough terrain and different weather or who were injured during the battles with enemies. Some of the women didn't hesitate to bear arms build towers and use other siege methods , especially during the firm siege round the Holy City and their active contribution in capturing it and killing its peaceful citizens in its roads and paths , and then to become the base for the Crusade Kingdom.

#### مشاركة النساء الأوروبيات في حملات الحج قبل الحروب الصليبية

اعتادت النساء في الغرب الأوروبي سواء العجائز منهن أو الشبابات ملازمة الرهبان والقساوسة وغيرهم من الحجاج بأعداد كبيرة وصلت في بعض الأحيان وبخاصة في الفترة (465-457هـ/ 1064-1065م) التي سبقت أحداث الحرب الصليبية الأولى ووقائعها ما بين سبعة آلاف إلى عشرة آلاف حاج<sup>(1)</sup>، من أجل زيارة المواقع التي تردد عليها السيد المسيح – عليه السلام – في الأماكن المرتبطة بحياة " أولئك الذين وقعوا موقع الإعجاب في نفوسهم<sup>(2)</sup>، على الرغم من تكاليف السفر الباهظة التي كانت ترهق هؤلاء الحجاج، وبخاصة الفقراء منهم، الذين كانوا يقضون وقتاً طويلاً لادخار ما يكفيهم من المال يمكنهم من ركوب بعض السفن التي ترسو بهم في أقرب ميناء، ثم يتابعون من هناك سيراً على الأقدام أو ركوب الإبل والجياد حتى يبلغوا طيهم<sup>(3)</sup>.

(1) رنسيمان، ستيفن. (2004)، رحلات الحج إلى فلسطين فيما قبل عام 1095م، ترجمة د. محمد مؤنس عوض.

تاريخ الحروب الصليبية، ط1، بيت المقدس للنشر، رام الله، ص42-46.

(2) Wilkinson. (1977) *Jerusalem Pilgrims before the Crusade*, London, pp. 47-52.

رنسيمان، ستيفن. المرجع نفسه، ص42-43.

(3) حبشي، حسن. (1958)، الحرب الصليبية الأولى، د. ط، دار الفكر العربي، ص22.

ولم تكن الحماسة الدينية وحدها – كما يبدو – وراء تدفق أعداد كبيرة من النساء إلى الأرض المقدسة<sup>(1)</sup>، فقد حاول بعض الحجاج العائدين إلى أوروبا إثارة الشائعات التي تبعث على الدهشة والاستغراب تدفع بالكثير من الأوروبيين والأوروبيات إلى المشاركة في تلك الرحلات من أجل مشاهدة الغرائب والعجائب التي حظيت بها هذه البلاد دون غيرها، فقد ورد في مدونات بعض الحجاج أنه يعيش فوق هذه الأرض أسوداً تخشى النمر، وقردة عرفت باسم "الكلاب البرية" ووصفت بأنها أشد افتراساً من الذئب، كما ينمو فيها أشجار نخيل ذات أوراق كبيرة، زاد طول كل ورقة منها عن ذراعين، وعرضها حوالي نصف ذراع، وتثمر فاكهة مستطيلة الشكل، ومن هذه الأشجار ينمو أحياناً شجرتان فوق جذع واحد، إضافة إلى أشجار فاكهة عرفت باسم "تفاحة آدم" ويمكن رؤية علامات أسنانه بوضوح عليها<sup>(2)</sup>، ويبدو أن هؤلاء الرحالة كانوا يهدفون من وراء بث هذه الشائعات ونشرها بين أوساط الأوروبيين الفقراء والجهلة منهم إلى حث الأوروبيين على زيارة الأراضي المقدسة وتكثيف الوجود الصليبي في مدنها وأريافها.

على أية حال، إن بعد المسافة وطول السفر من فرنسا أو إنجلترا أو إيطاليا أو ألمانيا أو غيرها إلى بيت المقدس والمدن الأخرى كالناصره<sup>(3)</sup> وأريحا وطبرية<sup>(4)</sup> حتمت مشاركة النساء في رحلات الحج من أجل إسعاف الحجاج الذين يتعرّضون أحياناً للتعب والإعياء، وبخاصة بسبب تقلبات الطقس حيث البرودة الشديدة والرياح العاتية التي كانت تصيب جبال الأناضول التركية<sup>(5)</sup>. وإلى جانب تقديم الإسعافات، كانت النساء تتولى إعداد الطعام والشراب ونسج الملابس الصوفية للحجيج وخباطتها<sup>(6)</sup>. فضلاً عن ذلك كله، فقد كان لعودتهن إلى أوروبا بعد أداء الطقوس الدينية وزيارة المواقع المقدسة والتجوال في مختلف المدن والأرياف أثره في بث الحماسة في نفوس الأوروبيين وإثارة حميتهم ضد سكانها الأصليين، فقد ورد أن إحدى

(1) Delehaye, (1938) *Les (10) Origines de Culte des Martyres* 2 nd ed. Brussels, pp. 73-91 .

(2) لمزيد من التفاصيل عن مثل هذه الشائعات ينظر: ستيوارت إيوري M. A. Stewart Aubrey (2013)، *وصف الأرض المقدسة لمجموعة من الرحالة المجهولين*، ترجمة د. جلال حسني سلامة، ط1 دار الشيماء، رام الله، ص63-64.

(3) الناصرة: تقع في قلب الجليل الأدنى على جبل يعلو أكثر من 400م عن سطح البحر، وتعلو أكثر من 300م عن مرج بني عامر. ينظر الدباغ، مصطفى مراد (1991م)، *بلادنا فلسطين*، ج7، دار الهدى، كفر قرع، ص34.

(4) طبريا: مدينة فلسطينية تقع على الشاطئ الغربي لبحرية طبريا. ينظر الراهب، دانيال، (1992م)، *رحلة الحج الروسي إلى الأراضي المقدسة*، ط1، عمان، ص16.

(5) رنسيان، ستيفن. *المرجع نفسه*، ص46. حبشي، حسن. *المرجع نفسه*، ص22. والأناضول شبه جزيرة جبلية في غرب آسيا على البحر المتوسط وتشمل معظم الأراضي التركية.

(6) بانتر، سيدني. (2004) *أوروبا الغربية عشية الحروب الصليبية*، ترجمة سعيد عبد المحسن تاريخ الحروب الصليبية، إشراف: كينيث سيتون، ط1 دار الشروق، الأردن، ص14-23.

القديسات وتدعى القديسة العذراء "ثيكللا" Thekla<sup>(1)</sup> قد حملت معها إصبع سبابة يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام)<sup>(2)</sup> الذي سلم من الحرق إلى مدينة "مورين" Maurierne، واحتفظت به في كنيسة القديسة مريم<sup>(3)</sup>، حتى وإن كانت مثل هذه الرواية – مهما بلغت صحتها- قد سبقت الحروب الصليبية بعقود طويلة فإن آثارها الحماسية استمرت في نفوس الأجيال المتعاقبة.

### أسباب غموض مشاركة النساء في الحرب الصليبية الأولى

ولكن في الوقت الذي تكشفت فيه مشاركة النساء الأوروبيات في حملات الحجاج إلى الأرض المقدسة بصورة واضحة وجليّة، نجد في المقابل أن مشاركتها في الحملة الصليبية الأولى يكتنفها الغموض الكبير، فالمصادر الغربية والعربية المتوافرة التي تناولت أحداث هذه الحملة ووقائعها تخفي بصورة تامة – إلى حدّ ما – طبيعة ذلك الدور إلى جانب الجنود الفرسان في ميدان المعركة والحصار والواجبات الإنسانية الأخرى.

ويعزو الباحث هذا الغموض إلى مسوّغات عدّة، يعود بعضها إلى أن المؤرخين الغربيين كانوا قد اعتادوا على عدم إعطاء نسائهم اللائي يسهمين في القتال وتحقيق إنجازات في التوسع والهيمنة ذلك الاهتمام الذي يليق بجهودهن بأشكاله المختلفة، اعتقاداً منهم أن مشاركتهن هذه أمراً "مفروغاً منه لا يخضع للجدال أو النقاش"<sup>(4)</sup> ومن الجانب الآخر – أي ما يتعلق بالمصادر العربية، فإن غموضها عن الإشارة إلى النساء الأوروبيات في هذه الفترة يعود – كما يبدو – إلى تركيز المؤرخين المعاصرين بالدرجة الأولى على ما حلّ في ساحة المشرق الإسلامي من تطورات سياسية خطيرة آلت بالأمة العربية والإسلامية إلى ضعف وانقسام إلى خلافة عباسية سنيّة في بغداد وخلافة فاطمية شيعية في مصر، ما جعلها عاجزة عن صد الغزوة الصليبية الجديدة، فضلاً عن عدم معرفتهم كذلك بطبائع المرأة الأوروبية وعاداتها التي لم تجد ما يعيها أو يثير الشك والريبة من اختلاطها بنظرائها من الرجال ومساندتها لهم في الجهود العسكرية والميادين الإنسانية، فقد بدا في حديث أسامة بن منقذ الذي زار الأرض المقدسة في أثناء الوجود

- (1) القديسة ثيكللا ولدت في ايقونيا وهي مدينة بالقرب من انطاكيا ومن أبوين ثنيين، سمعت إلى تعاليم القديس بولس وأمنت إيماناً قوياً بالمسيحية وبعد زيارتها للأرض المقدسة استقرت في سلوقيا السورية حيث صرفت باقي حياتها بتبشير الانجيل، عن ذلك نظر [Kfarqatra.tripod.com](http://Kfarqatra.tripod.com)
- (2) يوحنا المعمدان: عاش في خلال المرحلة التي سبقت ظهور السيد المسيح عليه السلام مباشرة، وكان والده يدعى زكريا وكان له دوره في التبشير بالسيد المسيح وقام بتعميده ولقي مصرعه على يد الإمبراطور الروماني هيرودوس. عن ذلك ينظر: متى الإصحاح (1) من 1-6، لوقا، الإصحاح (9) من 7-9.
- (3) يذكر هنا أن الإمبراطور الروماني جوليان المرتد (361-363م) قد ارتكب فظاعته حينما مزق جسد يوحنا (يحيى) ثم أحرقه وبعثر رماده مع الرياح، وسلم إصبع سبابتها من الحرق – كما يزعمون – الذي كان يشير به إلى السيد المسيح ليعمده. عن ذلك ينظر: ستيوارت، إيبوري. المرجع نفسه، ص104. حبشي، حسن. المرجع نفسه، ص20. ومورين قرية صغيرة في محافظة ادلب شمال سوريا.

Delehay. Op. cit., pp. 32-39 .

- (4) Mclaughlin, M. (1990). The Women Warrior: gender, Warfare and Society in medieval Europe' Women's Studies an interdisciplinary Journal, 17, pp. 193-209.

الصليبي علامات الدهشة والاستغراب عندما شاهد رجلاً وامرأة غربيين الوجه واللسان يتبادلان الحديث في إحدى الطرقات العامة<sup>(1)</sup>.

ومّا زاد هذا الغموض وقُلل من الاهتمام بمشاركة النساء الأوروبيات وإسهامهن في ملازمة جيوش الحملة الصليبية هو التباين الذي ظهر عند المؤرخين المعاصرين الذين أوردوا في كتاباتهم بعض المقتطفات المهمة في خطاب البابا "أربان الثاني" Pop Urban II<sup>(2)</sup> في مؤتمر "كليرمون" Clermont - جنوب فرنسا - (488هـ/1095م) أمام جموع غفيرة من المسيحيين يحذّر فيها النساء من مغادرة ديارهن وعائلاتهن في أوروبا باتجاه الأرض المقدسة<sup>(3)</sup>. في حين نجد في كتابات بعض المؤرخين الغربيين المعاصرين لحظة خطاب البابا وتحرك جيوش الحملة الصليبية الأولى ووصولها هذه البلاد واستيلائهم عليها، وفي مقدمتهم المؤرخ الفرنسي "فوشيه الشارترى" Fulcher of Chartres حول دعوته أن لا تأخذ النساء دورها في حرب عزم الغرب الأوروبي أن يخوض غمارها<sup>(4)</sup>.

أيّا كان الأمر، فقد جاء الخطاب البابوي في مؤتمر "كليرمون" Clermont تتويجاً لخطط محكمة وترتيب دقيقة وضعها قادة أوروبيون تكفل لهم نجاح الحملة في الاستيلاء على المشرق الإسلامي بعامة والأرض المقدسة بخاصة، إلى حدّ جعلت بعض الباحثين المحدثين يصف هذا التنظيم بقوله: "إن ما ميّز القرن الحادي عشر هو التوسع والتنظيم، وإن الحروب الصليبية جزءاً من هذا التوسع، ولكنها لم تتحقق إلا بفضل التنظيم"<sup>(5)</sup>.

وعلى ضوء ذلك يمكن القول، أن النساء في أوروبا كانت جزءاً من تلك الترتيب قبل أن يزوج البابا والقادة الأوروبيون الآخرين فرسانهم وأعداد كبيرة من جيوشهم في حروب غير معروفة نتائجها. وإذا كان البابا في خطابه قد ألمح إلى موضوع الابتعاد بالنساء عن الحملة، فإنه قصد بذلك العجائز منهن إلى جانب الأطفال والشيوخ "لأنه لم يكن يريد للرجال والنساء غير اللائقين أن ينضموا إلى حملة عسكرية"<sup>(6)</sup>. إذ لا يعقل أن تنطلق جيوشاً جرّارة من مختلف أنحاء الغرب الأوروبي، من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وإنجلترا وغيرها، والتي قدّر عددها

(1) ابن منقذ، أسامة. (ت584هـ/1188م) مؤيد الدولة أبو المظفر. (1930) كتاب الاعتبار، تحقيق فيليب حتي، جامعة برنستون - الولايات المتحدة الأمريكية، ص135.

(2) فرنسي الأصل، ولد حوالي سنة 1042م من عائلة نبيلة، وأسمه الحقيقي أودو دي لاجري Odo de Lagery، نال حظاً وافراً من التعليم، حيث أرسل إلى المدرسة الكاتدرائية في ريمز Reims، ثم قرر بعد ذلك الانضمام إلى جماعة كلوني وصار راهباً، وأخذ يتدرج في المناصب الدينية حتى وصل إلى منصب البابوية 1088م، وكان حينذاك في السادسة والأربعين من عمره. عن ذلك ينظر: الشيخ، محمد محمد مرسي. (2001) عصر الحروب الصليبية، الاسكندرية، ص92.

(3) Robertus Monachus. *Historia Iherosolimitana*, RHC, Occ, III, pp. 729-730.

(4) عن خطاب البابا أربان الثاني Pop Urban II عند الشارترى، فوشيه (1990) تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة د. زياد العسلي، ط1، دار الشروق، عمان، ص32-36.

(5) بانتر، سيدني. المرجع نفسه، ص10.

(6) سميث، جونانان رايلي. (1427هـ/2007م) تاريخ أوكسفورد للحروب الصليبية، ترجمة وتعليق د. قاسم عبد قاسم، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ص77، 105.

حسبما ورد في بعض المصادر ما بين (8800 فارس و818000) من المشاة متجهين نحو القسطنطينية للعبور منها نحو بلاد الأناضول التركية<sup>(1)</sup> وسواء أكان هذا العدد يقل أو يزيد، فإن مجموعات كبيرة من النساء ومن مختلف الطبقات وما يتقنه من مهن وحرف كانت بصحبة تلك الحملة العسكرية<sup>(2)</sup>.

فاجتياز المسافات الطويلة البرية منها أو البحرية كان يتطلب أن يرافق الفرسان وقادة الجيوش أزواجهم أو بناتهم أو أخواتهم أو غيرهن من الفتيات الشابات<sup>(3)</sup> ليس في حمل السلاح وخوض ميادين القتال<sup>(4)</sup> فحسب، - كما سنلاحظ ذلك في أثناء حصار المدينة المقدسة (493هـ/1099م) وفرض الطوق العسكري المشدد عليها - بل في تقديم الخدمات والرعاية اللازمة لهؤلاء جميعاً، ففي المعسكرات التي نصبها الصليبيون حوالي مدينة أنطاكية<sup>(5)</sup> وضواحيها وفرض الحصار المشدد عليها عام (492هـ/1098م)، تواجد فيه مجموعات من النساء الأوروبيات، ويتضح من النص الذي ورد في كتاب المؤرخ الصليبي "وليم الصوري"<sup>(6)</sup> William of Tyre أن هؤلاء النسوة كن يتولين أعمالاً يصعب فيها على الرجال القيام بها<sup>(7)</sup>، كإعداد وجبات الطعام وجلب مياه الشرب، وتقديم الإسعافات للفرسان والجنود الجرحى، فضلاً عن السهر على راحة المرضى بسبب الجوع والحرمان ونقص المواد الغذائية في أثناء حصارهم الطويل للمدينة<sup>(8)</sup>. وإلى جانب ذلك كله، فإن الغرب الأوروبي الذي أعد خطة محكمة لغزو المنطقة والاستيلاء عليها بعد تطهيرها من سكانها الأصليين، ثم إقامة كيان جديد كان لا بد أن يسبق هذا كله إعداد جيل، رجالاً ونساء من ذوي المهن والحرف المختلفة سواء أكانت طبية أو زراعية أو حرفية واصطحابهم معهم، وبخاصة أن كثير من الحرفيين العرب والمسلمين

- (1) هافنيسيس. (1416هـ/1995م) تاريخ المورة نقلاً عن سهيل زكار. الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج10، دمشق، ص375 - 376.
- (2) سميث، جوناثان رايلي. المرجع نفسه، ص57.
- (3) Albert of Aachen. *Hierosolymitana*, RHC. Oc. p. 365.
- الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص81.
- (4) الصوري، وليم (1991). الحروب الصليبية، ج1، ترجمة د. حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، ص150.
- (5) مجهول. (1958) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس "الجستا"، ترجمة د. حسن حبشي، ص117.
- الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج1، ص150-151.
- (6) أنطاكية: مدينة تركية تقع على الضفة اليسرى لنهر العاصي على بعد 30 كم من شاطئ البحر الأبيض المتوسط في لواء الاسكندرون الواقع تحت السيادة التركية. Wikipedia.org. 14/8/2013
- (7) وليم الصوري (William of Tyre): مؤرخ صليبي ولد في فلسطين حوالي عام 1130م وشاركت أسرته الفرنسية الأصل في الحملة الصليبية الأولى، وأتقن لغات عدة منها اللغة العربية واليونانية والفرنسية لمزيد من التفاصيل ينظر: الفيتري، يعقوب، (1998)، تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق ساعد البيشاوي، ط1، دار الشروق، فلسطين، ص18.
- (8) La barge, M. W. (1986). *A Small Sound of the Trumpet*, Boston Press, p. 173.
- (9) الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج1، ص299-300. ينظر أيضاً، سميث، جوناثان رايلي، المرجع نفسه، ص57.

سيعيهم التعامل في بداية الأمر مع أولئك الذين سيقدمون على طردهم من بيوتهم وأراضيهم عنوة.

ومن هنا، وقبل أن تشق الحملة الصليبية الأولى طريقها نحو الأرض المقدسة، نالت النساء في أوروبا قسطاً لا يستهان به من الاهتمام، حيث تناولت بعض الدراسات الحديثة الدور الذي اضطلعن به في أثناء القرن الحادي عشر الميلادي كالقيام بمهمات وأعمال متنوعة خارج واجباتهن المنزلية، تمثلت في مساعدة الواحدة منهن لزوجها أو أفراد أسرته في الأعمال الزراعية وقطف الثمار والزرع، ونقل مياه الشرب وتدبير أمور المواشي والدواجن وغيرها من البهائم والحياد<sup>(1)</sup>. ومن أجل زيادة دخل أسرتها، فقد تدرّبت كثير من النساء على بعض المهن والحرف، ومنها على سبيل المثال مهنة الغزل والنسيج<sup>(2)</sup>، وصناعة الخمر والنيذ، وكذلك إعداد ألوان من الطعام والشراب<sup>(3)</sup>.

ومن بين المجالات الحياتية الأخرى التي كانت تمارسها النساء الأوروبيات بصورة رئيسة وفعّالة، هو دور المعالجة والتطبيب والتمريض، حتى وصفت الواحدة منهن بأنها كانت أكثر دراية ومهارة من الرجال<sup>(4)</sup>. فكانت الحاجة إلى مثل هؤلاء، حيث خرج مع الحملة الصليبية بصحبة الفرسان والقادة وغيرهم عدد من النساء الحوامل اللواتي اضطر الكثير منهن إلى وضع أطفالهن قبل الأوان، بسبب طول السفر وعدم تحملهن شدة العطش وارتفاع درجات الحرارة، حتى أن بعضهن قد توفى في أثناء الولادة، وفي هذه الحالة تولت المرأة الأوروبية مهمة الإشراف على ترميض الأطفال وإرضاعهم بعد ولادتهم<sup>(5)</sup> علماً أن المرأة التي كانت تسند إليها مثل هذه المهمة في أوروبا كانت تخضع للمقابلة لمعرفة مدى تأهلها في ممارسة مهنة العلاج وال مداواة<sup>(6)</sup> وإلى جانب الرضاعة والعناية بالأطفال، عملت المرأة كمرضة في المستشفيات والسهر على راحة المرضى ليلاً، ولهذا كثيراً ما وقع الاختيار على النساء اللاتي لم يكتب لهنّ الزواج أو الاهتمام بالحياة الدينية للقيام بمثل هذه المسؤولية<sup>(7)</sup>.

وعلاوة على ذلك، فقد استطاعت النساء في أوروبا أن تمتحن حرف أخرى لم تقتصر على الرجال دون غيرهم، فكان لها مهارتها في صياغة الذهب والفضة<sup>(8)</sup>، وصناعة الأسلحة التي

(1) Hannawalt, B. A. (1986). *Women and Work in Preindustrial Europe*, Blomington. Indiana University Press. cf also: [www.umich.edu](http://www.umich.edu) 29/4/2012.

(2) بانتر، سيدني. المرجع نفسه، ص 14، 23.

(3) Gies, F. & Gies, J. (1978). *Women in the middle Ages*. New york, Harper Perennial, p. 189.

(4) M. W. La barge. *op. cit.* p. 173 .

(5) B. A. Hannawalt. *op. cit.* p. 81 .

(6) F. Gies, and J. Gies. *op. cit.* pp. 203-204 .

(7) M. W, La barge. *op. cit.* pp. 187-189 .

(8) Loc. Cit, pp. 147-149 .

ظهرت من خلال مساهمتها في صناعة آلات الحصار حول أسوار المدينة المقدسة<sup>(1)</sup> وكذلك صناعة الأحذية<sup>(2)</sup>، حيث كانت الحاجة ماسة لمثل هذه الصناعة بسبب طول السفر وشدة وعورة وعورة الطرق والمسالك من الغرب الأوروبي إلى المشرق الإسلامي<sup>(3)</sup>، ولعلّ مثل هذه الإنجازات التي تحققت للمرأة في القرن الحادي عشر الميلادي هي التي رفعت من مكانتها في المجتمع الأوروبي، فأصبحت ممثلة في بعض النقابات التجارية والحرفية<sup>(4)</sup>، ما جعلها في حقيقة الأمر تفصح عن رغبتها - بعد موافقة زوجها أو والدها<sup>(5)</sup> - إلى جانب النساء اللواتي وقعن تحت ظلم النظام الإقطاعي الأوروبي الذي ساد أوروبا في العصور الوسطى في المشاركة عسكرياً في وقائع الحملة الصليبية الأولى<sup>(6)</sup> لتطهير نفسها من الذنوب والخطايا والإسهام في تحرير القدس وتخليصها من أيدي المسلمين المعتدين<sup>(7)</sup> - على حد زعمهم -.

فعندما أعدّ البابا "أربان الثاني" Pop Urban II الحملة الصليبية التي دعا إليها في خطاب عام (488هـ/1095م) بأنها "حملة الحج" للجميع<sup>(8)</sup> وجدت أعداد لا يستهان بها من نساء الغرب الأوروبي فيها فرصتها للانخراط في صفوف المقاتلين الصليبيين لاستكمال مشروع تحرير قبر السيد المسيح وإنهاء الوجود الإسلامي في الأرض المقدسة. وقد عدّت النساء المشاركات في هذه الحملة العسكرية بالآلاف دون تحديد - كما ورد في بعض المصادر التاريخية المتوافرة<sup>(9)</sup> - وذات مهن وحرف متنوعة<sup>(10)</sup> - كما أسلفنا - سواء في المسير وحتى الإعلان عن إقامة كيان لاتيني جديد في المشرق الإسلامي.

على أية حال، سارت أعداد كبيرة من النساء من مختلف أنحاء أوروبا بصحبة الفرسان والقادة والجنود إضافة إلى رجال الدين ومجموعات من الأطفال<sup>(11)</sup>، الذين كانوا في حاجة ماسة

(1) مجهول. أعمال الفرنجة، ص117.

(2) M. W. La barge. op. cit., pp. 147 - 149 .

(3) حبشي، حسن. الحروب الصليبية، ص22.

(4) Amt. E. (1993). women Lives in Medieval Europe, New York and London: Routledge, p. 194 .

(5) Epstein, S. A. (1986). Wage, Labor, and Guilds in Medieval Europe, Chapel Hill and London, University of North Carolina, p. 118. [www.Sandradodd.com](http://www.Sandradodd.com). 1/4/2012 .

(6) Hawden, Roger. (1871). Chronica ed. w. Stubbs, vol. 4, Rolls series, 51, London, p. 88

(7) Millon, Betty. (1982). Women Rulers in Men's World's, The Kensal press,

(8) سميث، جوناثان رايلي. المرجع نفسه، ص105.

(9) Albert of Aachen. Op. cit. p. 365.

الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ج5، ص21.

(10) الرهاوي المجهول نقلاً عن سهيل زكار، (1416هـ/1995م) الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، المصادر السريانية، ج5، دمشق، ص21.

Baldric of Dol. Historia Jerusalem, tana, RHC Oc., pp. 28,34,107 .

(11) الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص46. الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج1، ص155-156.

لرعاية والاهتمام وتوفير ما يحتاجونه من طعام وشراب ودواء، ووصلوا جميعاً إلى القسطنطينية، ومن هناك جاء تحركهم نحو الشاطئ الآسيوي مركزين جهودهم الأولى على مدينة نيقية<sup>(1)</sup>، عاصمة السلطنة السلجوقية كونها مدينة مقدسة يرتبط بها جانب من تاريخ الإمبراطورية البيزنطية الديني، عدا عن أنها تقع على الطريق الحربي الذي يجتاز آسيا الصغرى (تركيا حالياً) من ناحية أخرى<sup>(2)</sup>.

ومن أجل أن يضمن الصليبيون الإمدادات الحربية عبر ممرات وطرق آمنة بدأوا في جمادى الأولى (490هـ/أوائل مايو (أيار) 1097م) يشددون حصارهم للمدينة براً وبحراً، ودارت بين الجانبين السلجوقي والصليبي معارك عنيفة<sup>(3)</sup> جعلت النساء تقاتل بحماسة جنباً إلى جنب مع الرجال حتى سقطت المدينة بأيديهم، ومما يؤكد بلاء النساء في هذا القتال الذي استمر قرابة خمسة أسابيع ما ورد على لسان "وليم الصوري" William of Tyre قوله: "كما قتل في تلك المعركة (معركة نيقية) أربعة آلاف من عامة شعبنا من ذوي المنزلة الدنيا من الرجال والنساء على حد سواء"<sup>(4)</sup>.

لقد أحدث سقوط المدينة بأيدي الصليبيين دَوْباً هائلاً في مختلف أنحاء الغرب الأوروبي، وكان ذلك دافعاً قوياً لكل من كان يمتنع من الرجال والنساء عن الخروج بالتفكير في المشاركة، ومواصلة القتال بغية الاستيلاء على مزيد من مدن المشرق الإسلامي، وبخاصة بعد أن تعهدت المدن التجارية الإيطالية بيزا والبندقية وجنوا<sup>(5)</sup> بنقلهم على متن سفنها البحرية، عندما عزم الصليبيون على حصار الرها<sup>(6)</sup> وانطاكية فقد ورد في إحدى المصادر المتوافرة أن عدة آلاف من النساء لجأن إلى مستعمرة قريبة أقمن فيها حتى استسلمت أنطاكية ورضوخها للحكم الصليبي<sup>(7)</sup>.

(1) تقع نيقية في آسيا الصغرى (تركيا) على شاطئ بحيرة غير بعيدة عن مرمره، وتتمتع بحصانة شديدة وتتحكم في مختلف طرق المنطقة، عن ذلك، ينظر: الشيخ، محمد محمد مرسي. المرجع نفسه، ص124.

(2) حبشي، حسن. الحرب الصليبية الأولى، ص85.

(3) الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص42.

Cf. also: Holt. (2006). The age of the Crusades, Oxford University, pp. 20-21 .

(4) الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج1، ص227.

(5) بيزا هي مدينة إيطالية تقع في إقليم توسكانا بالقرب من ساحل البحر الليغوري. والبندقية مدينة إيطالية عريقة تقع على الساحل الشمالي للبحر الأدرياتيكي وتقوم فوق أكثر من 120 جزيرة صغيرة. أما جنوا فهي ميناء بحري شمال إيطاليا.

(6) أولى الإمارات التي أسسها الصليبيون في المشرق الإسلامي، ومركزها مدينة أورفة جنوب تركيا حالياً. الرها، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص266-280. لي سترانج. (1985) يلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، ط1، مؤسسة الرسالة، ص132-137.

(7) Albert of Aachen. op. cit., p. 365.

لمزيد من التفاصيل عن استيلاء الصليبيين على الرها وانطاكية، ينظر: الشارترى فوشيه. المصدر نفسه، الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج1، ص263 – 264، ص356-359.

Grousset, R., (1946). Histoire de Croisades, et du Royaume Franc de Jerusalem, vol., 1, Paris, p. 96

وعلى الرغم من أن المصادر المتوافرة لم تفصح عن دور النساء الأوروبيات اللواتي قمن مع طليعة الحملة الصليبية الأولى أو اللواتي تحمسن للحاق بها بعد الانتصارات التي أحرزتها جيوشها، فقد ورد عند المؤرخ الصليبي "وليم الصوري" William of Tyre أن الصليبيين في أثناء حصارهم لأنطاكية "قرروا نفي جميع النسوة الفاسقات وذوات السمعة السيئة من المعسكر"<sup>(1)</sup>. ويفهم من قوله هذا، وجود عدد كبير من النساء اللواتي لم يتوانين عن تقديم الخدمات اللازمة للجنود والسهر على راحتهم، إضافة إلى وجود عدد لا يستهان به من النساء المتدربات على القتال ومقارعة العدو إلى جانب المقاتلين من الرجال، وبث الحماسة والشجاعة في نفوسهم وتحفيزهم على الاستبسال في القتال وتحطيم معنويات أفراد المقاومة الإسلامية.

فيسقط إنطاكية وانتهاء الحكم الإسلامي فيها بعد تخاذل الحكام المسلمين في الدفاع عنها، واصلت الجيوش الصليبية تطهير البلاد الواقعة في الطريق إلى الديار المقدسة، فهاجموا معرة النعمان<sup>(2)</sup> وأحدثوا فيها خراباً وتدميراً وحولوا المساجد فيها إلى كنائس، ثم قاموا بتوطين بعض العائلات المسيحية الأوروبية<sup>(3)</sup> في البارة السورية<sup>(4)</sup>، وليس من المستبعد أن تكون هذه الخطوة الخطوة تهدف إلى توطين كبار السن من الرجال والنساء والأطفال غير القادرين على حمل السلاح، وإدراك القادة<sup>(5)</sup> الصليبيين بأن المجموعات "الفدائية" كانت تتمركز في المناطق الإستراتيجية والأودية وأن وجود كبار السن بينهم يخلق عقبة أمام تحركاتهم وبالتالي قد يعيق أو يؤخر خططهم في الاستيلاء على القدس وتأسيس المملكة الصليبية. كما أن توطين هذه العائلات قد يشكل لهم ظهيراً من خلال مراقبة ما يجري من تحركات على ساحة البلاد الإسلامية المجاورة.

لقد ضمت الجيوش الصليبية المتجهة نحو الأرض المقدسة - بعد أن أخذت استعداداتها كافة - مجموعات من النساء الأوروبيات اللواتي كان يسند إليهن تقديم الخدمات الإنسانية والعلاجية وإعداد وجبات الطعام للفرسان وقادة الجند<sup>(6)</sup>. ومن المحتمل أن المرأة الأوروبية في هذه المرحلة الخطيرة قدمت خدمة جلية للصليبيين لا تقل أهمية عن الخدمات الأخرى في أثناء الحصار الذي فرض حول المدينة المقدسة، تمثل في نقل المياه من مسافات بعيدة بعد أن عمدت حامية المدينة بطم آبار المياه وإفساد مخازن المياه، وبخاصة أن الحصار الصليبي للمدينة قد

- (1) الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج1، ص300.
- (2) معرة النعمان: تقع جنوبي إلب في سورية وتبعد عن مدينة حلب 84 كم وعن مدينة حماة 60 كم وتعلو عن سطح البحر 496م. [Wikipedia.org](http://Wikipedia.org). 15/6/2013.
- (3) مجهول. أعمال الفرنجة، ص105-106.
- (4) البارة: قرية أثرية سورية تقع بين ثنايا جبل الزاوية في محافظة إدلب شمال غرب سورية. [Wikipedia.org](http://Wikipedia.org). 22/5/2013.
- (5) الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص68، وليم. المصدر نفسه، ج2، ص37.
- (6) الرهاوي المجهول. المصدر نفسه، ج5، ص21.

وقع في فترة اشتدت فيها الحرارة<sup>(1)</sup>، فضلاً عن أن عدد المحاصرين للمدينة لم يتجاوز واحد وعشرين الفاً من الفرسان والمشاة " وبقية الحشد جمهرة بائسة ومريضة وعاجزة"<sup>(2)</sup>.

وفي الحصار الذي فرضه الصليبيون على المدينة المقدسة يوم (الخامس عشر من رجب 492هـ/السابع من يونيو حزيران 1099م)، ظهر دور النساء الصليبيات عسكرياً في حمل السلاح والقتال إلى جانب الجند في التصدي لأفراد المقاومة الإسلامية<sup>(3)</sup>، كما أسهمت إلى جانب ذلك مساهمة فعّالة في نصب الأبراج وصناعة آلات الحصار بغية تشديد الحصار على المدينة والإسراع في الاستيلاء عليها<sup>(4)</sup> ولعلّ حصار الصليبيين لمدينة إنطاكية الذي استمر حوالي سبعة أشهر (شوال 490- جمادى الآخرة 491هـ/أكتوبر "تشرين أول" 1097 - يونيو "حزيران" 1098م) قد أكسب النساء خبرة ودراية بهذا النوع من الصناعة. ويصف المؤرخ الصليبي "وليم الصوري" William of Tyre مشاركتهم العسكرية هذه بقوله: "واجترأت النسوة بصرف النظر عن جنسهنّ على حمل السلاح، وحاربن بشجاعة يفوق طاقتهنّ"<sup>(5)</sup>.

ويبدو أن مشاركة المرأة الأوروبية في حصار المدينة المقدسة بهذه الجرأة والروح العالية قد زاد من معنويات الفرسان والجنود وبقينهم بسقوطها في أيديهم وانتزاعها من أصحابها الشرعيين، فاستعدوا جميعاً (رجالاً ونساءً) على شن هجومهم الكبير يوم (23 شعبان 492هـ/15 يوليو "تموز" 1099م) وتمكنوا في نهاية الأمر من اقتحام المدينة والاستيلاء عليها ونهب ثرواتها ومصادرة بيوتها، بعد أن ارتكب الصليبيون مقاتلين ومقاتلات مذبحاً مروّعة بحق سكانها الأمنيين من الشيوخ والنساء والأطفال<sup>(6)</sup>.

ولعلّ تطهير الصليبيين للمدينة من سكانها الأصليين بهذه الصورة كان يهدف إلى إيواء النساء والأطفال في بيوت آمنة بعد سنوات ثلاث من التعب والشقاء في فصلي الشتاء والصيف حيث البرودة القاسية وارتفاع درجات الحرارة وما تسببه لهم من أمراض وإرهاق شديدين هذا من ناحية<sup>(7)</sup>، ومن ناحية أخرى كانوا يرمون من هذه المجازر إلى نشر الخوف والرعب بين سكان البلاد الأصليين وعدم الجرأة على دخول المدينة<sup>(8)</sup> وبخاصة أن الصليبيين الذين كانوا

(1) الصوري، وليم، المصدر نفسه، ج2، ص93-94.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص94.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص113.

(4) مجهول. أعمال الفرنجة، ص117.

(5) الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج2، ص113.

(6) الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص75. 108.

(7) المصدر نفسه، ص81.

(8) المصدر نفسه، ص79.

يعانون من نقص كبير ويخشون على أنفسهم من هجمات الفدائيين الليلية<sup>(1)</sup> قد وضعوا خطة عسكرية للاستيلاء على ما تبقى من مدن الأرض المقدسة الداخلية منها والساحلية<sup>(2)</sup>.

ومهما يكن من أمر، فإنه لم يكد يمضي على الهزيمة التي منيت بها المقاومة الإسلامية وما تبعها من قتل وتهجير بحق سكان الأرض المقدسة ونجاح الصليبيين في بسط سيادتهم عليها سنوات عشر، ثم نزوع الأوضاع الأمنية فيها إلى الهدوء والاستقرار، حتى عزمت موجات كبيرة من العائلات في فرنسا وانجلترا رجالاً ونساءً وأطفالاً بمختلف طبقاتها الاجتماعية والاقتصادية وعلى متن سفن المدن التجارية الإيطالية بيزا وجنوا والبندقية تشد رحالها إلى مدن وريف هذه البلاد والإقامة الدائمة فيها دون تفكير كثير منها بالعودة إلى أوطانها الأصيلة<sup>(3)</sup>، إلى درجة دفعت المؤرخ الصليبي المعاصر "فوشيه الشارترى" Fulcher of Chartres الذي شهد على قديم مثل هذه الأعداد المتزايدة التي لم يعد بها أن تتذكر مسقط رأسها أو مكان إقامتها الأولى إلى القول: "فالذين كانوا غربيين أصبحوا الآن شرقيين، ومن كان رومياً أو فرنجياً تحول في هذه البلاد إلى جليلي أو فلسطيني". ....<sup>(4)</sup>

ولعل ذلك يشير إلى أن المرأة الأوروبية التي قدمت بصحبة جيوش الحملة الصليبية الأولى واللواتي قدمن فيما بعد بصحبة أزواجهن أو إخوانهن أو آبائهن قد طاب لهنّ العيش والإقامة في بيوت والمنازل التي هجرها أصحابها الشرعيين، ونالت كل واحدة منها حريتها في ممارسة مختلف المهن والحرف، سواء الزراعية منها أو الصناعية أو التجارية بعيداً عن النظام الإقطاعي الذي كان يسود أوروبا في تلك الفترة، قد عززت في نفوس أبنائها الرغبة الدائمة بالتمسك بهذه الأرض التي قدّم من أجلها القادة الصليبيون تضحيات جسيمة والحرص على عدم التفريط بها.

- (1) الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج2، ص 180.
- (2) لمزيد من التفاصيل عن هذه الخطة، ينظر. الشارترى، فوشيه. المصدر نفسه، ص114، ص131، ابن الأثير. أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (1987) الكامل في التاريخ، ج10، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 325. السيد علي أحمد محمد. (1988) إمارة الجليل تحت حكم اللاتين ودورها السياسي في الصراع الصليبي - الإسلامي في منطقة الشرق الأدنى الإسلامي (492 هـ - 549 هـ / 1099 - 1154م)، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب - قسم التاريخ، ص188.
- Hagenmeyer, H. Chronoilogie de La Premir Croisade in R. O. L. tom. v1 pp. 354-356. Benvenisti, M. (1970) The Crusaders in the Holy Land, Jerusalem, p. 80.
- سلامة، جلال. (1998) عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة، ط1 دار الفاروق، نابلس، 98، ص44-50.
- (3) زكار، سهيل. (1416هـ/1995م) الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية الروايات الأوروبية - الإغريقية واللاتينية، ج10، مجموع هافنيس، تاريخ المورة، ص377.
- زابوروف، ميخائيل (1986). الصليبيون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ص127. قاسم، عبده قاسم. (1995) أثر الحروب الصليبية على العالم العربي، سكانياً - اجتماعياً - سياسياً، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ج4، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص233.
- (4) الشارترى. المصدر نفسه، ص 218 - 219.

وعلى الرغم من أن المصادر المتوافرة لم تشر إلى المدن والقرى التي شهدت استقرار هذه العائلات فيها، إلا أنه يبدو أن كثيراً منها قد أثرت الإقامة في المدن والأرياف الساحلية والداخلية الأكثر أمناً والتي باتت إلى حد ما بعيدة عن أهداف الهجمات الفدائية أو القريبية من بعض القرى التي كانت لا تزال تكتظ بأعداد كبيرة من سكان البلاد الأصليين، فإلى جانب المدينة المقدسة التي هجرها سكانها، أقدمت هذه العائلات رجالاً ونساءً وأطفالاً على الإقامة في عكا وحيفا وقيسارية<sup>(1)</sup> والناصرية وبيت لحم وغيرها بعد استباحة بيوتها ومساكنها، فقد أورد السمعاني (ت 562هـ/1161م) الذي مرّ بمدينة قيسارية في أثناء خضوعها للحكم الصليبي بقوله: "دخلتها يوم الجمعة وقت الصلاة فلم أجد بها من المسلمين إلا رجلاً واحداً وأهله، واستولت عليها الفرنج"<sup>(2)</sup>. ولعل ذلك يشير إلى أن كثيراً من العائلات الصليبية التي بدأت تغد إلى الأراضي المقدسة قد استوطنت بيوت سكانها الذين نزحوا عنها عقب استيلاء الصليبيين عليها.

وكانت مدينة نابلس هي الأخرى واحدة من المدن التي شهدت استقرار أعداد كبيرة من نساء أوروبا فيها بصحبة أزواجهن وأطفالهن أو أبائهن وإخوانهن، ويستدل على ذلك ما أورده ابن جبير حين هاجمت جيوش السلطان الأيوبي المدينة عام (1187م/583هـ)، واستولوا عليها، بقوله: "امتألت أيدي المسلمين سبباً لا يحصى عدده من الإفرنج"<sup>(3)</sup>.

### خاتمة

نخلص إلى القول إلى أنّ قدوم النساء الأوروبيات إلى المشرق الإسلامي بعامّة والأرض المقدسة بخاصة بصحبة الرجال، سواء كانوا أزواجهن أو أبنائهن أو إخوانهن لم يكن وليد الحملة الصليبية الأولى التي أعلن عنها البابا أربان الثاني Pop Urban II في خطابة الشهير "بكليرمون" Clermont - جنوب فرنسا - (1095م/488هـ)، بل سبق القرن الحادي عشر الميلادي بعقود طويلة، طلباً في زيارة الأماكن المقدسة وأداء الشعائر الدينية تبركاً بهذه الأرض ورفات القديسين فيها وتخلصاً من كل الذنوب والخطايا.

لا شك أن مثل هذه الزيارات قد لعبت دوراً مهماً في اندفاعهم نحو مشاركة الجيوش الصليبية في الحملة الأولى في الميادين الإنسانية والعسكرية كافة، فشملت العناية بالقادة

- (1) عكا: مدينة تقع شمال ساحل فلسطين عرفت بأسماء عدة منها Akko أو Acco. حيفا: مدينة تقع على قمة جبل الكرمل ويحدها من الشمال عكا ومن الشرق قضاء الناصرة وجنين ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط.
- قيسارية: مدينة تقع على الساحل الفلسطيني وتبعد عن بافا من الناحية الشمالية نحو 30 ميلاً وتقع على بعد 62 ميلاً شمال غرب بيت المقدس ينظر دويكات، فؤاد عبد الرحيم حسن 2002م، إقطاعية طبريا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي 492-690هـ / 1099-1291م، ط1، مؤسسة حمادة، اربد، الاردن، ص79. الدباغ. مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، ج7، ص452.
- (2) السمعاني، أبي سعيد عبدالكريم (1408هـ/1988م) الأنساب، ج4، ط1 تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ص575.
- (3) ابن جبير، أبي الحسين محمد بن أحمد الكتعاني الأندلسي البلنسي. (د. ت) رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ص209.

الصليبيين وقواتهم، من خلال تقديم المساعدات الطبية والعلاجية اللازمة لهم لحظة مغادرتهم لأوطانهم في أوروبا وحتى بلوغهم الأراضي الخاضعة للحكم الإسلامي ودخولهم في اشتباكات وحروب حامية الوطيس مع القوات الإسلامية بغية فرض السيادة الأوروبية عليها وتحقيق نبوءة البابا باسترداد الأماكن المقدسة وحلمه في استغلال ثرواتها التي وصفها "بالعسل واللبن" في تخليص الفقراء والمعدمين ورفع شأن بلاده اقتصادياً وتجارياً.

وفي الجانب العسكري الذي أظهرت فيه الجيوش الصليبية تنظيمًا وترتيباً على القوات الإسلامية – التي عانت أسباب الضعف وتراخيها في المقاومة – برزت فيه بطولات النساء الأوروبيات بحمل السلاح واعتلاء صهوة الجياد إلى جانب الفرسان والجنود، ومشاركتهن الفاعلة في بناء الأبراج وآلات الحصار، فكان لهن دورهن في اقتلاع سكان البلاد الأصليين من بلادهم وأراضيهم وإجبارهم على النزوح والهرب إلى بلاد اللجوء في مصر وسورية وغيرها من بلدان العالم الإسلامي، بعد مساندتهن للجنود في التنكيل بالأهالي وارتكاب المذابح والمجازر التي لم يسلم منها الأطفال والنساء والشيوخ والعلماء كما حدث في المدينة المقدسة، ثم المباشرة باقتحام البيوت والمنازل وتملكهن لها بصحية أزواجهن وأطفالهن من أجل بناء مجتمع جديد وسط محيط إسلامي غريب في عاداته وتقاليده ويهدف إلى نهب ثروات البلاد ومقدراتها، وإثارة النزاعات والفتن الداخلية التي هدمت أركان الوحدة الإسلامية فترة طويلة من الزمن.

### References (Arabic & English)

- Albert of Aachen. *Historia Hierosolymitana*, RHC, Oc.
- Al-Rahawi Anonymus. *Encyclopedia of Al-Shamiyah in the History of the Crusades*, Tr. Suhail Zakkar, vol.5.
- Al-Samaani, Abu Said Abdul Kareem. (1988). *Al-Ansab*, 5vol, ed 1, Dar Al-Jinan, Beirut.
- Al-Sayed, A. (1988). *Emirate of Galilee under the rule of the Latins (1099-1154)*, Master, Alexandria, Arts Collage.
- Al-Shaikh, M. (2001). *The era of the Crusades*, Alexandria.
- Al-Suri, W. (1991-1992). *Crusaders War*, 2 vol. Tr. Hasan Habashi, Eqypt.
- Anonymus. (1958). *Al-Gesta*, Tr.Hasan Habashi.
- B.A. (1986). *Hannawalt. Women and work in Preindustrial Europe* Blomington Indiana University Press.

- Bainz, s. (2004). *Western Europe on the eve of the Crusades*, Tr, Said, A, ed.1, Dar Al-Shuruq, Jordan.
- Baldric of Dol. *Historia Jerusalem*. tansa, RHC , Oc.
- Benvenisti, M. (1970). *The Crusaders in the Holy Land*. Jerusalem.
- Decharter, F. (1990). *Campaign to Jerusalem History*, Tr. Ziad Al-Asali, ed.1, Dar Al-Shuroq-Amman.
- Delehaye. (1938). *Les (10) Origines de Culte des Martyres*, 2<sup>nd</sup> ed. Brussels), pp.73-91.
- Amt, E. (1993). *Women Lives in Medieval Europe*, New York and London: Routledge.
- Gies, F. & Gies, J. (1978). *Women in the Middle Ages*. New York, Harper Perennial.
- Grousset, R. (1946). *Histoire de Croisades, et du Royaume Franc de Jerusalem*, vol.1, Paris.
- Habashi, H. (1958). *The First Crusade*, Dar Al-Fikr Al-Arabi.
- Hagenmeyer, H. *Chronoilogic de la Premir Croisade* in R.O.L, tom. VI.
- Havinsees. (1995). *Al-Murah History*, Tr. Suhail Zakkar, 10 vol. Dumascus.
- Holt. (2006). *the age of the Crusades. The New East from the Eleventh Century to 1517* Oxford University Press.
- Howden, Roger. (1986). *Chronica* ed. W.Stubbs, vol.4, Rolls S.A, Epstein, *Wage, Labor and Guilds in Medieval Europe*, Chapel Hill and London , University of Noth Carolina , press.
- Ibn Al-Atheer, Abu Al-Hasan Ali Ibn Abu Al Karam. (1987). *Al-Kamel fi Al-Tareekh*, 10 vol, ed. 1, Beirut.
- Ibn Jubair, Abu Al-Husain Muhammad Ibn Ahmad Al-Kinani. Ibn Jubair Jurnay, Lebanon.

- Ibn Munkez, Usamah Muayad Al-Dawlah Abu Al-muzaffar. (1930). *Kitab Al-Eetibar*, Brinston University, U.S.A.
- Kasim, A. (1995). *The impact of the Crusades to the Arab World population, politically socially*, Encyclopedia of Arab-Islamic civilization, Beirut.
- Millon, Betty. (1982). *Women Rulers in Men's World's*, The Kensal Press , 1982.
- Mclaughlin, M. (1990). *The Women Warrior: gender, Warfare and Society in medieval Europe*. Women's studies an interdisciplinary, Journal, 17 pp.193- 209.
- La barge, M.W. (1986). *Asmall Sound of the Trumpet*. Boston: Beacon Press.
- Ranciman, S, (2004). *Pilgrimages to Palestine before 1095*, Tr. Muhammd Awad, Jerusalem-Ramallah.
- Robertus Monachus. *Historia Iherosolimitana*. RHC, Occ, III, pp.729-730.
- Wilkinson. (1977). *Jerusalem Pilgrims before the Crusade*, London, pp.47 –52.
- Salameh, J. (1998). *Akku in the Third Crusade*. ed. 1, Nablus.
- Smith, J. (2007). *The Oxford History of the Crusades*, Tr, Kasim, A, Ain Studies and Research humanity, Egypt.
- Stranj, L. (1985). *Islamic caliphate countries*, Al-Risalah Foundation.
- Zaburoaf, M. (1986). *Crusaders in the East*. Musko.
- [Wikipedia.org](http://Wikipedia.org) 22/5/2013
- [www.Umich.edu](http://www.Umich.edu) 15/6/2013
- [www.Sandradodd.com](http://www.Sandradodd.com) 14/8/2013